الدورة الإقليمية حول
البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية

إربد/ الأردن 1-5 نيسان (أبريل)2001م

عبد الرحمن حاج إبراهيم*

نظّم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو)، وفي ضيافة جامعة اليرموك في مدينة إربد شمال الأردن، الدورة الإقليمية الأولى حول " البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية " بهدف: توظيف البحث التربوي وآلياته وأدواته في تطوير عملية التدريس الجامعي في الدراسات الاسلامية، وتطوير قدرات المشتغلين في هذا الحقل في تناول مناهج وأساليب البحث العلمي بما يخدم أهداف تدريس العلوم الإسلامية، وإتاحة المجال أمام المشاركين لتبادل خبراتهم وتجاربهم المتعلقة بمدى تميز المنهجية الإسلامية في البحث والتفكير وخصوصيتها.

شارك في الندوة التي أُقيمت على مدى خمسة أيام، نحو 35 أستاذاً جامعياً وباحثاً أكاديمياً من عدد من الدول العربية وقد نوقشت في الندوة مجموعة من الأبحاث التي تناولت موضوعات المنهجية وتطبيقاتها، كما عقدت مجموعة من المشاغل التربوية حولها.

قدم الدكتور فتحي ملكاوي ورقة عن "المنهجية الإسلامية" باعتبارها محورا أساسيا في الأزمة الفكرية التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وأنها تتعلق بعملية التفكير "الإسلامي" وطبيعة الفكر الناتج عنها وترتبط بغايات الاسلام ومقاصده، ولذلك فهي لا تنفصل عن الواقع والحياة التي يحاول الإسلام بناءها. فغاية الفكر الاسلامي -بطبيعة الحال- إقامة الحياة وفق منظوره الخاص. وقد جاء في هذه الورقة أن غياب الإسهامات الإسلامية عن الخبرة الإنسانية المعاصرة في البحث، وغياب البيئة العلمية المناسبة للبحث في

* باحث في الدراسات الإسلامية من سوريا.

البلدان الاسلامية يجعل بعض الباحثين غير المسلمين أقدر أحيانا على بحث القضايا الإسلامية من الباحثين المسلمين. ومعظم المناهج السائدة في البحث اليوم هي مناهج وضعية، تستبعد اعتبار الدين من المصادر الدينية، حتى البحث في القضايا الاسلامية، والعقل المسلم لا يملك إلا أن يستدخل البعد الديني في محاولته لبناء منهجية البحث، لكن هذا البعد الديني في مناهج البحث ما زال يحتاج الى الدرس والتفصيل.

قدم الدكتور عبد الرحمن النقيب ورقة ركز فيها على العناصر الأساسية التي تتكون منها المنهجية، منها العنصر المفاهيمي، حيث أشار الى أنه لم يعد معقولا أن نتحدث عن التربية الإسلامية ونظل نستخدم مفاهيم غينار دون نقد أو تمحيص أو إخضاع لخصوصيتنا الثقافية والحضارية. ويضيف النقيب إلى عناصر المنهجية العنصر الفلسفي، حيث إن لكل منهجية عناصرها الفلسفية والنظرية التي تقوم عليها. وهناك العنصر الأهم من عناصر المنهجية وهو تحديد الاشكاليات والمعضلات الأجدر بالتناول، ذلك أن الأخذ بالمنهجية الإسلامية سوف يحدد للباحثين والدراسين المشاكل البحثية التي تستحق الدراسة والتي سوف تسهم في مجال التنظير أو مجال التطبيق التربوي.

الدكتور ناصر الخوالدة من جانبه قدم ورقة في منهجية البحث التربوي، وخصوصيتها في ميدان الدراسات الإسلامية في الجامعات، وأكد أن واقع هذا الميدان ما يزال ينقصه الكثير من التطبيقات التربوية. وخلص إلى أن الاشتغال بمنهجية البحث التربوي يجب أن تستهدف تنمية القدرات لدى الباحثين والدراسين على فهم واستيعاب أنواع البحوث المختلفة، والإلمام بالمفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها البحث العلمي، وتزويدهم بالمعرفة والمهارات الضرورية التي تجعلهم أكثر قدرة على تصميم بحوثهم وإعدادها على أسس منهجية سليمة وتطويعها لخصوصية تدريس العلوم الإسلامية.

وفي قراءة نقدية للأدبيات التي تتناول واقع تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات قدم الدكتور ناصر أبو البصل ورقة خلص منها إلى ضرورة إجراء مسح ودراسة للأدبيات التي تتحدث عن واقع التعليم الشرعي في الجامعات والمؤسسات التعليمية لمعرفة اتجاه هذه الدراسات بالتحديد، وضرورة تنفيذ ما تتوصل إليه الأبحاث العلمية التربوية في مجال إصلاح التعليم الإسلامي في الجامعات.

وقد رصد الدكتور توفيق مرعي والدكتور ماجد الجلاد في ورقتهما سمات مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات وكشفا عن أن هذه المناهج تفتقر إلى تحديد الأهداف التربوية العامة، كما تفتقر إلى التنوع، ولا تـــهتم بصياغة هذه الأهداف صياغة محددة يمكن قياسها. كما تتسم تلك المناهج بشكل واضح ببعدها عن الواقع ومناقشة مشكلاته، وتـــهمل تنمية الفكر الإبداعي، ويتحكم "المنهج الخفي" بالقدر الأكبر من نتائج تدريس هذه المناهج. ويخلص الباحثان إلى ضرورة تكييف المنهاج وعناصره وأسسه ومراحل بنائه وفقا للخصائص الإسلامية، فقد صيغ مفهوم المنهاج على أرضية تتصل بالواقع الغربي فلسفيا وقيميا واجتماعيا ونفسيا ومعرفيا.

كذلك قدم الدكتور شفيق العلاونة ورقة اهتمت بتفصيلات البحث المتعلق بنشاطات التعليم والتعلّم الخاص بالدراسات الإسلامية، أكد فيها على أن اعتماد التعليم الجامعي في الجامعات الإسلامية على مفهوم"التعليم" يعدّ عائقا حقيقيا في النظرية التربوية الحديثة التي تعتمد على مفهوم "التعلم". وفي كل الأحوال فإن عملية التعليم والتعلم في الجامعات بوجه عام وفيما يتعلق بالدراسات الإسلامية بوجه خاص لا تعتمد على نتائج البحث العلمي ولا توظف البحث في السعي لإنجاز أفضل النتائج. ومن ثم كان من الضروري أن يكتسب المشتغلون في هذا الحقل مهارة البحث العلمي وتطبيقاته التربوية.

الدكتور خالد الصمدي قدم ورقة حول واقع وآفاق البحث في التقنيات الحديثة وتوظيفها في تدريس موضوعات الدراسات الإسلامية، أكد فيها على أنه ما زال ينظر إلى الوسائل التقنية الحديثة على أنـــها ليست من أولويات التعليم. وما زالت المشاريع المتعلقة بـــها لم تتبلور بعد، وقد ساهم ذلك في بعد المشتغلين بالتقنيات الحديثة عن تخصص الدراسات الإسلامية، باعتبار أن هذه الدراسات ليست إلا مجالا نظريا يغيب فيه التطبيق. والحال كذلك في مجال تدريس العلوم الإنسانية عامةً، حيث يتم تـــهميش التقنيات الحديثة، ولذلك يدعو الباحث إلى تشجيع هذا النوع من البحث وإدخاله في الدراسات الجامعية العليا، حتى يمكن تطويره بشكل أكثر جدية.

وفي السياق نفسه قدم الدكتور محمد ذيبان غزاوي ورقة في موضوع البحث المتعلق باستخدام التقنيات الجديثة في تدريس موضوعات الدراسات الإسلامية، أكد فيها على ضرورة تعزيز الاهتمام بمفهوم التقنيات الحديثة ووظائفها وأهميتها، ودعوة المختصين

بالبحث التربوي إلى إجراء البحوث حول التقنيات التي يستفاد منها عمليا، وحذر من استخدام برامج جاهزة لم تدرس بعناية وفق معايير تربوية.

وأكد الدكتور أحمد عودة في ورقته حول البحث التربوي المتعلق بتقويم تدريس الدراسات الإسلامية أن التقويم عنصر أساسي في العملية التدريسية، ويتطلب معرفة متخصصة في مجال القياس والتقويم بشكل خاص، وأدوات البحث بشكل عام. ويلاحظ أن ثمة انخفاضاً ملموساً في عدد الدراسات التقويمية في مجال الدراسات الإسلامية، وأن ما أنجز من بحوث يقتصر على مساهمات الباحثين من أعضاء هيئة التدريس لأغراض استكمال متطلبات الدرجة العلمية أو الترقي الإداري، وفي كلا الحالتين يكون البحث مصيره النسيان، ومن الناحية العلمية تتصف معظم هذه البحوث بالضعف وتعتمد مبادرات فردية خاضعة لمحددات زمنية اقتصادية.

وقد ألقى الدكتور عبد الجبار سعيد في ورقته الأضواء على مدى تطبيق البحث التربوي على مادة "الثقافة الإسلامية" التي تعدّ واسعة الانتشار على صعيد التعليم الجامعي، معتمدا على الملاحظات والاستنتاجات المتعلقة بمؤلفات الثقافة الإسلامية. وقد أشار إلى حجم التباين في القضايا المفصلية بين مؤلفات الثقافة الإسلامية وأصول البحث التربوي، فمعظم تلك المؤلفات –مثلا– لا تصدر عن مشكلة بحثية ولا يتضح لها أهداف تعليمية، ومصطلحاتـــها غائمة وكذلك مضمونـــها، ولا تراعي الفروق في التخصصات... الخ.

إن الباحثين في مجال الدراسات الاسلامية يمثلون أهمية خاصة لأنـــهم أكثر اتصالاً بثقافة الأمة، وأكثر قدرةً على بعث مخزونـــها الحضاري إذا أتقن إعدادهم. لقد استطاع العقل المسلم عبر عصور الازدهار الإسلامي ومن خلال دعوة الإسلام إلى العلم وتفتحه على ثقافات الآخرين أن يرسي قواعد التأصيل الثابت لمناهج البحث المختلفة التي استخدمها بكفاءة في شتى ما أنتجه من علوم نظرية وتطبيقية. وإذا كان المسلمون قد استخدموا مناهج بحثية مختلفة فقد استخدموا تلك المناهج من خلال منهجية إسلامية متميزة. وإن نجاح العالم الغربي والحضاري طوال القرون الأربعة الأخيرة إنما هو ثمرة لتطوير مناهج البحث التي أخذها عن المسلمين.

لقد استطاع الغربيون في القرون الأخيرة أن يبلوروا لأنفسهم فلسفات حاكمة للبحث في العلوم المختلفة، وكان لكل فلسفة أثرها في المناهج البحثية وأدواتـــها وموضوعاتـــها. وقد كثر الحديث عن جوانب الأزمة التي تعاني منها المناهج البحثية في الغرب وقصورها في فهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية وبيان الأوجه المناسبة للتعامل معها، وإن تطوير منهجية إسلامية في التفكير والبحث وأساليب التعامل مع هذه الظواهر لا يلبي حاجة ملحة لدى الباحثين المسلمين وفي مجال الدراسات الإسلامية فحسب، وإنما يسهم في ترشيد الحضارة الإنسانية المعاصرة، ويملأ الموقع الشاغر للمسلمين فيها منذ وقت طويل.

ومن الجدير بالذكر بأن المعهد العالمي للفكر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) تعكفان على إخراج أوراق الدورة في كتاب مناسب.